﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ٩٧﴾ [طه: 97]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد أن ذكر النَّظمُ الجليلُ ما قاله السّامريُّ في جوابه عن سؤال موسى في محاكمته؛ شرع النَّظمُ في بيان العقوبة التي حكم بها موسى، وقد جعلها عقوبتَين في الدُّنيا وفي الآخرة[1]، وهذا حسمُ النّبوّةِ والشَّريعةِ، والحقُّ أن يُعقب الاعترافُ ومعرفةُ الحق بالعقاب.

بعدَ الاعترافِ بإضلالِ النّاسِ وفتنتِهم عن دينِهم بيَّن العقوبةَ المستحقَّةَ

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مِسَاسَۖ﴾: (مَسَّ، مسس) أصلٌ يَدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ[2]، والمسُّ يقال فيما يكون معه إدراكٌ بحاسَّة اللَّمس[3]، ويُقالُ: مَسِسْتُ الشَّيءَ أمَسُّه مَسًّا لَمَسْتَهُ بيَدِكَ، ثُمَّ اسْتُعيرَ للأخْذِ والضَّرْبِ؛ لأنَّهما باليَدِ، واسْتُعيرَ لِلجِماعِ؛ لأنَّه لَمسٌ، وللجُنون كأنَّ الجِنَّ مَسَّتْه؛ يُقالُ: به مَسٌّ مِنْ جُنونٍ، وقوله تعالى: ﴿لَا مِسَاسَۖ﴾، أي: لا تُخالِطُ أحدًا، حَرَّمَ مُخالَطَةَ السّامِريِّ عُقُوبَةً لَهُ، ومَعْناهُ، أي: لا أمَسُّ، ولا أُمَسُّ[4]، أي: لا تخالطْ أحدًا، ولا يخالطك، وأمرَ موسى بني إسرائيل ألّا يخالطوه، ولا يؤاكلوه، ولا يقربوه[5]؛ لأنَّه متميِّزٌ عنِ النّاس، ويستثمرُ تميّزَه فيما يضرُّهم فقط.

2) ﴿ظَلۡتَ﴾: (ظَلَّ، ظلل) أصْلٌ يَدُلُّ على سَتْرِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، وهو

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 147.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (مسس).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(5) الواحدي، البسيط: 14/ 510.

الَّذي يُسَمَّى الظِّلَّ، وظَلَّ يَفْعَلُ كَذا؛ وذَلِكَ إذا فعَلَهُ نَهارًا؛ لِأَنَّ الظِّلَّ شَيْءٌ يُخَصُّ به النَّهارُ، وذَلِكَ أَنَّ الشَّيْءَ يَكونُ لَهُ ظِلٌّ نَهارًا، ولا يُقالُ: ظَلَّ يَفْعَلُ كَذا لَيْلًا؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ نَفْسَهُ ظِلٌّ[1]، كَما لا يَقُولُونَ: باتَ يَبيتُ إلّا باللَّيْلِ، ومِنَ العَرَبِ مَنْ يَحْذِفُ لامَ (ظَلِلْتَ) ونَحْوِها، قالَ تَعالَى: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[2]، والمرادُ به في الآية الكريمة: إلهُك الذي طفقتَ تعبدُه، وظللت عليه مُقيمًا[3].

3) ﴿عَاكِفًا﴾: (عكف) أصْلٌ يَدُلُّ على مُقابَلَةٍ وحَبْسٍ[4]، عَكَف على الشَّيْءِ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عَكْفًا وعُكوفًا: أقبل عليه مُواظِبًا لا يَصْرِفُ عَنْهُ وجْهَهُ، وقيلَ: أقامَ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: 138]، أي: يُقيمون[5]، والعُكوفُ: الإقبالُ على الشَّيء وملازمتُه على سبيل التَّعظيم له، والاعْتِكافُ في الشَّرع: هو الاحتباسُ في المسجد على سبيل القُربة، ويقال: عَكَفْتُهُ على كذا، أي: حبستُه عليه[6].

4) ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: (نسف) أصْلٌ يَدُلُّ على كَشْفِ شَيْءٍ، وانْتَسَفَتِ الرّيحُ التُّرابَ، كَأَنَّها كَشَفَتْهُ عَنْ وجْه الأرْضِ وسَلَبَتْهُ[7]، نَسَفَ البِناءَ يَنْسِفُهُ: قَلَعَهُ من أصْلِه[8]، وقَدِ انْتَسَفَ الطّائِرُ الشَّيْءَ عَنْ وجْه الأرض بمِخْلَبه، ونَسَفَهُ، ونَسَفَ البعيرُ الكلأ يَنْسِفُه؛ إذا اقْتَلَعَهُ بأصله، وانْتَسَفْتُ الشَّيْءَ: اقْتَلَعْته، وانْتَسَفَ البِناءَ: استأْصله، نَسَفْت البِناءَ نَسْفًا؛ إذا قلَعْته، والمِنْسَفَة آلَةٌ يُقْلَعُ بها البِناءُ[9]، نَسَفَتِ الرّيحُ الشَّيْءَ: اقتلعَتْه، وأزالَتْهُ، قال تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه: 105]، ونَسَفَ البعيرُ الأرضَ بمُقَدَّم رِجْلِهِ؛ إذا رَمَى بترابِه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾، أي: نطرحُه فيه طَرْحَ النُّسافَة، وهي ما تثورُ من غُبارِ الأرْض[10]، والمرادُ به في الآية الكريمة: نقضُ العِجل لتذهب به الرّيحُ، وهو: التَّذرية[11].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ظلل).
(3) الواحدي، البسيط: 14/ 512.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عكف).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (عكف).
(6) الرّاغب، المفردات: (عكف).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسف).
(8) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (نسف).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (نسف).
(10) الرّاغب، المفردات: (نسف).
(11) الواحدي، البسيط: 14/ 514.

5) ﴿ٱلۡيَمِّ﴾: (يمّ، يمم) اليَمُّ: البَحْرُ، وقيل: لُجَّةُ البَحر، قال الله تعالى: ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [القصص: 7][1]، ويَقَعُ اسمُ اليَمِّ على ما كانَ ماؤُهُ مِلْحًا زُعاقًا، وعلى النَّهْرِ الكَبيرِ العَذْبِ الماءِ، ولا يُثَنَّى، ولا يُكَسَّرُ، ولا يُجْمَعُ جَمعَ السَّلامَةِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نهايةُ المحاكمةِ بإعلان العقابِ وسوءِ المآلِ

يُخبر النَّظمُ الكريمُ أنَّ موسى ﷺ، قال للسّامريِّ - لمّا أقرَّ بذنبه، واعترف بما جنت يداهُ، وذكر له ما يبيِّن مصيرَه في الدُّنيا وفي الآخرة-: ما دمتَ قد فعلتَ ما فعلتَ، فإنَّك في مدَّة حياتك تعاقبُ بالنَّبْذِ منَ النّاس، وأن تقول لهم إذا ما اقترب أحدٌ منك: لا مِساسَ، فلا تمسَّ أحدًا، ولا يمسُّك أحدٌ، ولا تخالط أحدًا، ولا يخالطك أحدٌ[3]، أي: قال له: "فاذهب فإنَّ عقوبتك في الحياة الدُّنيا أن تعيش منبوذًا تقول لكلِّ أحد: لا أمَسُّ ولا أُمَسُّ، وإنَّ لك موعدًا لعذابك وعقابك، لن يُخْلفك الله إيّاه، وسوف تلقاه، وانظر إلى معبودك الذي أقمت على عبادته لنُحرِّقنَّه بالنّار، ثم لنُذرونَّه في البحر ذروًا لتذهبَ به الرّيحُ؛ حتّى لا يبقى منه أثرٌ"[4]، فالجزاءُ من جنسِ العمل.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء في قوله: ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾:

سببُ الحكمِ بالعقوبةِ مبنيٌّ على الكفرِ والعصيانِ

افتتح النَّظمُ الجليلُ الجملةَ بحرف الفاء العاطفةِ الدّالَّةِ على السَّببيَّة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾، عطفًا على فعل مقدَّرٍ تقديرُه: لقد كفرتَ، فلمّا سمع موسى ﷺ ما قال السّامريُّ؛ قال له لقد كفرت بالله تعالى: ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾، فهي

(1) الفيروزابادي، البصائر: (يم).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (يمم).
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 146.
(4) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 318.

لربط المسبَّب بالسَّبب، أي: لقد كفرتَ باللّه، فتسبَّب عن ذلك أنّي أقول لك: اذهب، فجملةُ ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾ معطوفةٌ على جملة (كفرت) المقدَّرة[1].

دلالةُ الأمرِ في قوله: ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بفعلِ الأمر في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ للدَّلالة على إيجاب خروجِه منَ القوم طريدًا[2]، فهو أمرٌ له بالانصراف والخروجِ منَ الأمّة، أو هو أمرٌ للزَّجر، كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ [الإسراء: 63]، كما يجوزُ أن يرادَ به إظهارُ عدم الاكتراثِ بحاله[3]، والأوّلُ هو أظهرُها بقرينةِ ما بعده: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾.

معنَى الفاء في: ﴿فَإِنَّ﴾:

صدَّر النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ بالفاء الدّالَّةِ على التَّعليل[4]، فالجملةُ تعليلٌ لفعلِ الأمر ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾، فعلَّةُ طردِه من بينهم أنَّه سيتلقّى عقوبةً هي الأشدُّ منَ المفارقةِ، فالجملةُ "إخبارٌ بما عاقبه اللّه به في الدُّنيا والآخرة، فجعل حظَّه في حياته أن يقول لا مساسَ، أي: سلبَه اللّه الأنسَ الذي في طبعِ الإنسان، فعوَّضه به هوسًا ووسواسًا وتوحُّشًا، فأصبح متباعدًا عنِ مخالطة النّاس، عائشًا وحدَه لا يتركُ أحدًا يقتربُ منه"[5]، فعلَّةُ طردِه منَ الأمَّة أنَّ عقوبتَه بعدم المخالطةِ والمماسَّةِ تقتضي خروجَه من بينهم، والتّصريحُ بالعلّيَّة والسّببيّةِ بالفاء إبلاغٌ في إيلامِه في سياق تقريرِ عقابِه؛ باستحضارِ ما تسبَّبَ فيه مِمَّا كان منه.

تحريمُ مماسَّتِه ومخالطتِه علَّةُ الطَّردِ من بين القومِ

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 416.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 381.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 298.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 39.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 298.

معنَى اللّام في ﴿لَكَ﴾:

ثباتُ العقوبةِ لا تنفكُّ عن السّامريِّ كحقٍّ لا يزولُ

عبَّر النَّظمُ الجليلُ باللّام الجارَّة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾؛ للدَّلالة على استحقاقِ ما لا يمكن أن ينفكَّ عنه، وذلك لإرادة الله تعالى به ذلك[1]، فالتّعبير باللّام لَفْتٌ إلى اختصاصه بما يستحقُّه، ولن ينفكَّ عنه، وهو ما كان منه مِن صُنعِ العجل، وما نشأ عنه.

دلالةُ شبه الجملةِ الظَّرفيَّةِ ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾:

ثبتَ العقابُ ما بقيَ السّامريُّ حيًّا

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بشبه الجملةِ الدّالةِ على الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾، وذلك للدَّلالة على أنَّ قولَه ذلك سيدومُ مدَّةَ حياته[2]، فتقييدُ القول بأنَّه كائنٌ في الحياة يُبيِّن طولَ هذا العقاب، وهذا من أشدِّ التَّنكيل والعقاب.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾:

الحياةُ للمرء هي عمرُه الذي يعيشُه فيها

عرَّف النَّظمُ الجليلُ الحياةَ بالألف واللّام في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾؛ للدَّلالة على الحياة المعهودةِ، وهي الحياة الدُّنيا، وهي مقيَّدةٌ عرفًا ببقائه حيًّا فيها، فالمرادُ منَ الحياة حياتُه، فجُعِل له في مدَّة حياته أن يقول: (لا مساسَ)[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمصدر المؤوَّلِ من أن والفعل المضارع:

استمرارُ المقولة لدوام العقابِ مدَّةَ الحياة

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بالمصدر المؤوَّل من أن والفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ دون التَّعبير بالمصدر الصَّريح، فلم يقل: (إنَّ لك في الحياة قولك لا مساس)؛ وذلك للدَّلالة على تجدُّد هذه المقولة لِما في الفعل المضارع من دلالةٍ على التَّجدُّد والدَّوام، وهو مناسبٌ للتَّعبير بالظَّرفية في قوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ فلمّا جعلَ تلك

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 336.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 61.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 298.

العقوبة مستمرَّةً طولَ حياته؛ ناسب ذلك التَّعبيرَ عنِ المقولة بالفعل المُشعر بالدَّوام.

معنى ﴿لَا﴾ في ﴿لَا مِسَاسَۖ﴾:

تحريمُ المسِّ بأي صـورةٍ ومقدارٍ تحريمًا شاملًا

آثر النَّظمُ الكريمُ استعمالَ حرفِ النَّفي ﴿لَا﴾ الدّالِّ على نفي الجنس[1] في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾، وذلك للدَّلالة على تأكيد النَّفي وشموله، أي: لا مماسَّةَ موجودةٌ، فنفى وجودَ الماسَّة نفيًا يشملُ جنس المسِّ كلَّه صغيرَه وكبيرَه وبأيِّ صفةٍ كان، فيحرمُ عليه إيقاعُ اللَّمس بأيِّ شكل كان، وهذا أبلغُ مِنَ الإتيان بلا النّافية التي تدخلُ على فعلٍ مضارعٍ: (لا يمسني)، وهذا ينطوي على عظيم جُرمِه وقبيحِ صُنعِه.

غرضُ التَّعبير عنِ النَّهي عنِ المساس بالإخبار عنه:

ثبت التَّحريمُ حتّى كأنَّه صار خـبرًا واقـعًـا يُتحدَّثُ عنه

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ عنِ النَّهي عنِ المماسَّة بالإخبار عنها في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ دون أن يقول: (لا تمسَّ أحدًا)؛ لأنَّ النَّهيَ بالإخبار أبلغُ في الدَّلالة على وجوب الاجتنابِ، فالعُدولُ عنِ النَّهي الصَّريح إلى النَّهي بالخبر فيه مبالغةٌ في بيان الحرمةِ وضرورةِ التَّمسُّك بها، فكأنَّ علَّةَ ألّا يمسَّه أحد؛ لِما يلحقُ به مِن داءٍ نفسيٍّ، أصلٌ فيه، كما تميَّز بما ترتَّبَ عليه صنعُه العجلَ، واختُصَّ به، فكان أصلًا فيه لا فرعًا له.

دلالةُ التَّعبير بالمساسِ مادَّةً وصيغةً:

ثـبـوتُ انـتـفـاءِ المـسـاس، فلا ينتقضُ بزمنٍ

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالاسم ﴿مِسَاسَۖ﴾ دون الفعل في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾، فلم يجعل له أن يقول: (لا تمسَّني)؛ وذلك للدَّلالة على انتفاء المعنَى انتفاءً ثابتًا لا ينتقضُ بزمن، ولا بحدثٍ ما، وهو متناسبٌ مع شبه

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 61.

الجملة ﴿لَكَ﴾ التي أخبرت عن كونِ ذلك استحقاقًا ثابتًا له، فقد "سلبه اللّه الأنسَ الذي في طبعِ الإنسان فعوَّضه به هوسًا ووسواسًا وتوحُّشًا، فأصبح متباعدًا عن مخالطة النّاس، عائشًا وحده لا يترك أحدًا يقترب منه، فإذا لَقِيَهُ إنسان؛ قال له: لا مساس، يخشى أن يمسَّه، أي: لا تمسُّني ولا أمسُّك"[1].

وفي قوله ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ إيجاز، فهو بمعنى: (لا تَمُسَّني ولا أَمَسُّك)، فأوجز العبارتين في لفظٍ واحدٍ.

نُكتةُ حذفِ متعلَّقِ المساس:

حذف النَّظمُ الجليلُ متعلَّقَ المساس المنهيِّ عنه في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾، فلم يبيِّن ما يَحْرُم عليه مماسَّتُه، وذلك ليكون التَّحريم شاملًا كلَّ ما يمسُّ منَ النّاسِ، فالتَّعميمُ جيء به للمبالغة في التَّحريم وتأكيدِ شموليَّته، كما أنَّ الحذف فيه منَ الإيجاز البليغِ ما يجعله متَّصفًا بحسنِ البلاغة، فلو أراد أن يبيِّن ما يَحْرُمُ عليه أن يمسَّه بأن يقول: لا مساسَ لبشر من رجل أو امرأة، صغيرٍ أو كبيرٍ وغيره من الأوصاف، فالحذفُ أغنى عنِ الإطالة، فكان في غاية الإيجاز مع الإيفاء بالدَّلالة التّامَّة.

حرَّم عليه المسَّ عمومًا مبالغةً في النِّكاية به

معنى الواو في: ﴿وَإِنَّ﴾:

عطف النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ﴾ على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾[2]، فعطفَ الإخبارَ عن عقوبته في الآخرة على عقوبته في الدُّنيا، فجمع بالواو بين عقوبتَي الدُّنيا والآخرة.

الجمعُ بين العقوبتَين في الدّارَين إخبارٌ بسوء الحالِ والمآلِ

دلالةُ التَّوكيدِ بـ (إنَّ) والجملةِ الاسميَّةِ:

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالجملةِ الاسميَّةِ للإخبار عن عقوبته

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 298.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 416.

وعدُ الآخرة وعدٌ محقَّقُ الوقوعِ

في الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾؛ للدَّلالة على ثبات المعنى وقوَّةِ المضمون، وتصديرُ الجملة بحرف التَّأكيد (إنَّ) تقويةٌ للخبر وتحقيقٌ لوقوعه في المستقبل؛ لأنَّه لمّا كان وعدًا؛ ناسب تأكيدُه لتحقيق وقوعِه؛ تنزيلًا للسّامريِّ منزلةَ مَن ينكرُ مضمونَ الخبر؛ لأنَّ صُنْعَهُ العِجلَ يجعلُه كذلك، ومعاملةُ موسى إيّاه بهذه الصفة تذكيرٌ له بما كان منه؛ ليقيم عليه الحجَّة؛ حتى يعلم أنَّه يستحقُّ هذا العقابَ، وإذا كان مِن شأن مضمونِ الخبر إيلامُ السّامريِّ؛ لأنَّ الذي يقدرُ على تحقيق العقابِ الدّنيويِّ يقدرُ على تحقيق الأخرويِّ، فإنَّ في تأكيد الخبرِ إبلاغًا في هذا الإيلام؛ لأنَّه تمكينٌ لتقرير مجيئه في النَّفس، فتُملأ به، ويشيعُ في جميع جنباتها، فيكونُ مَعاقبًا في الدُّنيا بما في قوله: ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ وهو يفكِّرُ فيما سيكونُ في الآخرة ممّا يُلفتُ إليه قولُه: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾.

الاستعارةُ التَّهكُّميَّةُ في التَّعبير باللّام في ﴿لَكَ﴾:

الهزءُ والتَّهكُّمُ بالضّالِّ أبلغُ من مطلقِ الإخبارِ بالعذابِ

استعار النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بحرف اللّام الجارَّةِ الدّالَّةِ على العطاء الحسنِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ للتَّهكُّم، والمرادُ عليك، كقوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: 7]، أي: فعليها[1]، فجعل الموعودَ به منَ العذاب في الآخرة له، فهو كالإخبار بموعودٍ حسنٍ يُؤتى به للمكافأة الحسنةِ، فشبَّه العقابَ الموضوعَ عليه بالمكافأةِ له على سبيل التَّهكُّم، وحذفَ المشبَّه به، وأبقى منه حرفَ الجرِّ في ﴿لَكَ﴾، فهي استعارةٌ مكنيةٌ؛ لأنَّ المشبَّه به محذوفٌ، وهذه الاستعارةُ تُحقِّقُ ما ذُكِر في تأكيد الخبرِ، مِنَ الإبلاغِ في الإيلام.

نُكتةُ تقديمِ شبه الجملةِ ﴿لَكَ﴾:

قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على المسنَدِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 298.

إليه اسمِ (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾، وذلك للدَّلالة على تخصيص مخاطبته بهذا الوعد، وإن كان وعدُ الآخرة وعدًا عامًّا لكلِّ أحدٍ، ولكنَّه أجراه عليه مجرَى الاختصاص به مبالغةً في التَّفرُّغ له للعقاب والحسابِ في ذلك اليوم، وللإشعار بخصوصيَّةِ موعدِه، من حيث ما سيكونُ فيه مِن عقابٍ خاصٍّ به؛ كما اختُصَّ بسببه في الدّنيا.

نُكتةُ تنكيرِ ﴿مَوْعِدًا﴾:

جمعُ النّاس في موعدٍ واحدٍ يُفصحُ عن موعدٍ عظيمٍ جليلِ الشَّأن

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ عنِ الوعد بصيغة التَّنكيرِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ لِما في التَّنكير من دلالةٍ على المبالغةِ في التّوعّد، فجاء به نكرةً تفخيمًا لشأن هذا الوعيدِ، وهذه المعاني في تنكيرِ الوعد ترْشَحُ على ما سيكونُ في هذا الموعد مِن عقابٍ له.

الموقعُ النَّحويُّ والبيانيُّ للجملة المنفيّةِ: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾:

نفيُ الإخلافِ تأكيدٌ لوقوعِ الوعدِ مستقبلًا

وصف النَّظمُ الجليلُ الوعدَ بالجملة الفعليَّةِ المنفيَّة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾؛ للدَّلالة على تأكيد تحقُّقه ووقوعِه في المستقبل، أي: "لن يُخلفك الله موعدَه الذي وعدَك على الشِّرك والفسادِ في الأرض، يُنجزه لك في الآخرة بعدما عاقبَك بذاك في الدُّنيا"[1]، فأفاد الوصفُ تأكيدَ إنجاز هذا الوعدِ، فهو وعدٌ منتفيةٌ عنه أسبابُ الإخلاف نفيًا مؤكَّدًا.

توجيه القراءات في ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾:

الجمع بين الغيبة والخطاب لتأكيد وقوع الموعد

قَرَأ ابْن كثير وأبُو عَمرو ويعقوب ﴿لَّن تُخْلِفَهُۥ﴾ بِكَسْر اللّام، أي: (لن تُخلفه أنْت يا سامري)؛ أي: لن تغيب عَنهُ على وجه التهدد، أي: ستصير إلَيْه مريدا أو كارِهًا؛ فلا يكون لَك سَبيل إلَى أن تخلفه، فهو خبر في معنى الوَعيد. وقَرَأ الباقُونَ ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 381.

بِفَتْح اللّام، وحجتهم في ذَلِك أن المَعْنى: (أن لَك من اللّه موعدا بِعَذابِك على إضلالك بني إسْرائيل حين عبدُوا العجل لن يخلفكه اللّه) فلَمّا كانَ الموعد مُسْنَدًا إلَى اللّه جلّ وعزَّ لم يحسن إسْناد الخُلْف إلَى السامري؛ إذْ كانَ الخلف إنَّما يجْري في الكَلام مِمَّن وعد، لا من المَوْعُود كَما قالَ اللّه جلّ وعزّ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۖ﴾ [الرُّوم: 6]، وَكَذَلِكَ معنى ذَلِك: (لن يخلفكه اللّه)، ثمَّ رُدَّ إلَى ما لم يسم فاعله[1]. ومن بلاغة القراءات هنا أن السامري جمع في خطابه السابق بين الخطاب والغيبة في ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾؛ فجمع اللّه له هنا التهديد بين الخطاب والغيبة أيضا على سبيل المشاكلة.

دلالةُ العطف في ﴿وَٱنظُرْ﴾:

عطف النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ﴾ على الجملةِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَٱذْهَبْ﴾[2]، فبعد أن بيَّن عقوبةَ السّامريِّ عطفَ عليه ما سيحلُّ بِوَثَنِه، فلمّا "ذكرَ ما للإله الحقِّ مِن القدرةِ التّامَّةِ في الدّارَين؛ أتبعَه عجْزَ العجلِ"[3]، فعطف ما سيحلُّ بإلهِه الذي صنعَه على عقوبتِه التي تلقّاها، ليكونَ استئصالُ الضَّلال تامًّا.

النَّظرُ إلى تدمير وثنِه جزءٌ منَ التَّنكيل به بعد عقوبتِه بإخراجِه منَ الأمّة

دلالةُ الأمرِ في ﴿وَٱنظُرْ﴾:

عبَّر النَّظم الجليل بفعلِ الأمرِ ﴿وَٱنظُرْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ عجزَ الصَّنم ظاهرٌ يراه كلُّ مبصرٍ، فأمره بالنَّظر إلى العجلِ حالَ تعريضه للامتهان والتَّدمير ليُبيّنَ عجزَه وحقيقتَه، "فجعل الاستدلالَ بالنَّظر

عجزُ الصَّنم ظاهرٌ لكلِّ مُبصِرٍ، فمطلقُ النَّظرِ يكشفُ ضلالَ عابِديه

(1) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 463، وابن الجزري، النشر: 2/ 322.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 416.
(3) الخطيب، السراج المنير: 2/ 483.

إشارةً إلى أنَّه دليلٌ بيِّنٌ لا يحتاجُ المستدِلُّ به إلى أكثرَ منَ المشاهدة؛ فإنَّ دلالةَ المحسوسات أوضحُ من دلالة المعقولاتِ"[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿إِلَٰهِكَ﴾ وإضافتِه إلى ضميره:

نسبةُ المعبود (العجل) إلى صانعِه تحقيرٌ للصّانع والمصنوعِ

أضاف النَّظمُ الجليلُ لفظَ الإله إلى ضمير السّامريِّ في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾؛ للدَّلالة على كونه إلهًا في زعم السّامريّ ليس إلّا[2]، وفي هذه الإضافة دلالةٌ على التَّهكُّم والتَّحقير للإله المزعوم[3]، أي: هو ليس إلهًا للنّاس بحالٍ منَ الأحوال، بل هو إلهٌ نُسب إليك؛ لأنَّك صنعتَه، فكيف يكون المصنوعُ إلهًا؟.

فائدةُ التَّعبير بالاسمِ الموصولِ وصلتِه:

وصفُ الوثنِ بما لا يستحقُّ ينبِّهُ على شدَّةِ الضَّلال

آثر النَّظمُ الكريمُ وصفَ الإله بالاسم الموصولِ في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾، وذلك لما يدلُّ عليه مضمونُ صلةِ الموصولِ منَ التَّنبيه على الضَّلال والخطأ، أي: إلهك المزعومُ الذي لا يستحقُّ أن يُعكفَ عليه[4]، كما أنَّ مضمونَ هذه الصِّلة يبيِّنُ استحقاقَ السّامريِّ لذلك العقابِ الشَّديدِ، فهو لم يصنعِ الإلهَ حسب، بل بقيَ عليه معتكفًا حريصًا شديدَ العبادة.

نُكتةُ التَّعبير بـ﴿ظَلۡتَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

تخفيفُ الفعلِ يعبِّرُ عن قِصر المدَّةِ

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل ﴿ظَلۡتَ﴾ المخفَّفِ في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ دون أن يقول: (ظلَلْتَ)؛ للدَّلالة على أنَّه دام على عبادته مدَّةً يسيرةً جدًّا[5].

وعَبَّرَ عنِ الحذفِ بتخفيف التّضعيف، وفُهِمَ منهُ دلالتُهُ على قِصَرِ مدَّةِ إقامةِ السّامريِّ على عبادةِ العِجْلِ؛ فإنَّ الفعلَ معَ الحذفِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 299.
(2) الخطيب، السراج المنير: 2/ 483.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 299.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 299.
(5) الخطيب، السراج المنير: 2/ 483.

أقلُّ حروفًا منهُ معَ الإثباتِ، وهذا ظاهرٌ، لكنَّ سياقَ القَصَّةِ دالٌّ على قِصَرِ المُدَّةِ المذكورةِ، وكونُ الفعلِ: ﴿ظَلْتَ﴾ ماضيًا يُفْهِمُ هذا، وكذلكَ قولُهُ: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾، فكانَ في الفعلِ الماضي: ﴿ظَلْتَ﴾ والحذفِ فيه تمهيدٌ لقولِهِ: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ عن معنى (دام) بـ(ظلَّ):

التغرير بالأتباع من خلال إظهار شدّته في عبادة العجل مُرائيًا

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل (ظلَّ)، دون الفعل (دام) في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾؛ لأنَّ الفعل (ظلَّ) يدلُّ على أنَّ الاسم متَّصفٌ بالخبر طولَ مدَّة النَّهار، وهو يدلُّ مجازًا على معنى المداومة؛ لأنَّ غالبَ الأعمال تكونُ في النَّهار[2]، وفي إيثار الفعل الدّالِّ على الملازمة بالنَّهار إشعارٌ بأنَّ السّامريَّ كان يشتدُّ بعبادة العجلِ وقتَ النَّهار رياءً للنّاس وتشجيعًا لهم لعبادتِه، وأنسبُ وقت لذلك هو النَّهار؛ إذ قد يراه جميعُ القوم.

غرضُ تقديمِ شبه الجملة على الخبر:

تخصيصُ العجلِ بالاعتكاف دون غيره من ضلالاتِ السّامريِّ

قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور على الخبر في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾؛ للدَّلالة على التَّخصيص، أي: (الذي خصَّصت عبادتَك له دون غيره، أي: دونَ الله تعالى)[3]، وفي تقديم: ﴿عَلَيْهِ﴾ على ﴿عَاكِفًا﴾ تهكُّمٌ واستهزاءٌ آخرُ بالسّامريّ؛ لأنَّه يعني: أنَّ هذا الإلهَ إلهُ السّامريِّ فيه أو به ما يقتضي أن يظلَّ السّامريُّ عليه عاكفًا، والحالُ أنَّ فيه وبه ما يباعدُ بينه وبينه كالبعدِ بين المشرق والمغرب.

دلالةُ التَّعبير عنِ الاعتكاف بالاسم:

عبَّر النَّظمُ الجليلُ عن معنى الاعتكافِ باسمِ الفاعل في قوله

(1) عبد الله سرحان، الإعجاز القرآني في حذف حروف المباني والمعاني، ص: 117.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 299.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 299.

تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ للدَّلالة على أنَّ الاعتكافَ على هذا الوثنِ قد ثَبت للسّامريِّ، فهو لا يفارقُه، ولا ينقطعُ عنه، فدلالةُ الاسم على ثبات المعنى يرادُ منها هنا تأكيدُ اتِّصافه بصفة الاعتكافِ والانقطاعِ له دون غيره، وفي ذلك ذمٌّ شديدٌ لقوَّة شركِ السّامريِّ.

رسوخُ صفةِ الاعتكافِ في السّامريِّ دليلٌ على جِدِّه في الشِّركِ

معنَى اللّام في ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ ودلالةُ التَّأكيدِ في الجملة:

افتتح النَّظمُ الجليلُ الجملةَ باللّام الدّالَّة على القسم المحذوفِ في قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾، وتقديرُ الكلام: واللّه لنحرقنّه، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسْفًا[1]، وقد أكَّد الفعلَ بنون التَّوكيدِ الثَّقيلةِ إظهارًا لعظمة اللّه تعالى، وتحقيقًا للوعد[2]، فالتَّأكيدُ يدلُّ على قطعيَّة وقوعِ هذا الوعد، فجمعُ القسمِ مع التَّأكيد تقويةٌ لحدوث الموعودِ به، ولعلَّ التَّأكيدَ مناسبٌ لمن اعتقد بأنَّ العِجْل هو إلُهه، فهو ينكرُ أن يقعَ في هذا الإله المزعوم ذلك الوعدُ المحتوم، فجيءَ بالتَّأكيد مع القسم ردًّا على ذلكم الإنكارِ.

إنكارُ تدميرِ الإلهِ المزعومِ يقتضي ردَّ الإنكارِ بالتَّأكيدِ

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل المضعَّفِ للدَّلالة على التَّحريق:

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل المضعَّف ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ دون (نحرِقُه) في قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾ لِما في التَّضعيف من دلالةٍ على التَّكثير وتقويةِ المعنى، والمعنى: أنَّنا نحرقُه مرَّةً بعد مرَّة[3]، وذلك للمبالغة في التَّنكيل به وإظهارِ ضعفه وعجزه على أبلغِ وجهٍ.

تكرارُ الحرقِ مبالغةٌ في إظهار العجزِ

توجيه القراءات في ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾:

قَرَأَ ابْنُ وَرْدانَ عَنْ أبي جعفر بِفَتْحِ النُّونِ وضَمِّ الرّاءِ مخففةً:

تعددُ صيغِ الألفاظ دلالةٌ على تنوعِ طرقِ الإذلالِ للإلهِ المزعومِ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 147.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 337.
(3) الطّيبي، فتوح الغيب: 10/ 236.

﴿لَّنَحۡرُقَنَّهُۥ﴾، وهيَ قِراءَةُ عَليِّ بْنِ أبي طالِبٍ ﷺ، وقرأ ابن جمّاز عن أبي جَعْفَرٍ بضم النون وبإسْكانِ الحاءِ وتَخْفيفِ الرّاءِ مكسورةً: ﴿لَّنُحۡرِقَنَّهُۥ﴾، وقَرَأ الباقُونَ بِضَمِّ النُّونِ وكَسْرِ الرّاءِ مشددةً[1]. فأما قراءة الجمهور ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾، فهي مِنْ: (حَرَّقه يُحرِّقُه) بالشديد، ثم أُكِّد الفعل بنون التوكيد الثقيلة، مبالغة في التحريق. وفيها تأويلان: أظهرُهما: أنها مِنْ حَرَّقه بالنار. والثاني: أنه مِنْ (حَرَق نابُ البعير): إذا عَضَّ ببعضِ أنيابِه على بعضٍ. والصوتُ المسموعُ منه يُقال له الصَّريفُ، والمعنى: (لنَبْرُدَنَّه بالمِبْرد بَرْداً نمحقُه به كما يفعل البعيرُ بأنيابِه بعضها على بعض). وأما قراءة ابن وردان ﴿لَّنَحۡرُقَنَّهُۥ﴾ فهي من (حرق) الثلاثي؛ قال أهل اللغة: "وحَرَقَ نابُ البَعير يَحْرِقُ ويَحْرُقُ حَرْقا وحَريقا: صَرَفَ. وحرَقَ الإنْسان وغَيره نابَه، يَحْرُقُهُ، ويحْرِقُه حَرِقا وحُريقا وحُرُوقا فعل ذَلِك من غَيْظٍ وغضبٍ". وأما قراءة ابن جمّاز ﴿لَّنُحۡرِقَنَّهُۥ﴾ فهي من (أحْرق) الرباعي؛ فيجوز أن يكونَ (أحْرق وحرَّق) بمعنًى، كـ: (أنْزَل ونَزَّل). يقول أهل اللغة: "وأحْرَقَتْه النّار وحَرَّقَتْه فاحترَقَ وتَحَرَّق"[2]. فهذه القراءات المتواترة جمعت كل أنواع الإذلال والمهانة لهذا الإله المزعوم؛ من المبالغة في الحرق، ومن البرد بالمِبْرَد. فحين نبرد الشّيء يتطاير الشّرر منه، وكلما بردناه بشدة يخرج شرر أكثر وأكثر حتّى يصبح كالنّار، وهذا يشير إلى القراءة الأخرى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾، وبرْدُه بالمبرد شيئاً فشيئاً يدل على عجز هذا الإله – العجل – عن إنقاذ نفسه.

دلالةُ العطفِ بـ﴿ثُمَّ﴾:

آثر النَّظمُ الكريمُ العطفَ بحرف العطفِ ﴿ثُمَّ﴾ الدّالِّ على

رُتبةُ النَّسفِ أبلغُ في الإعدامِ والإذلالِ منَ التَّحريق

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 322، وتحبير التيسير، ص: 462.

(2) ابن الجزري، النشر: 2/322، والسمين الحلبي، الدر المصون: 8/ 99، وابن سِيدَهْ، المحكم والمحيط الأعظم: 2/ 574، وقمحاوي، قلائد الفكر، ص: 102.

التَّراخي في قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾؛ للدَّلالة على التَّراخي في الرُّتبة؛ وذلك لأنَّ النَّسفَ أشدُّ في إعدام العجلِ من إعدامه بالتَّحريق، كما أنَّه أذلُّ له[1]، فأخَّر ذكرَ النَّسف عن ذكر التَّحريق؛ لأنَّه أبلغُ منه وأشدُّ، فجاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ بينهما لترتيب تلك الرُّتبةِ، فجعل النَّسفَ أبعدَ وأعلى في الإذلال منَ التَّحريق، وهذا لا محالةَ جارٍ على طريق السُّخريّةِ بالسّامريّ ومَن في حكمه؛ وإن كان معناه حاصلًا لا محالةَ.

معنَى اللّامِ في ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ ودلالةُ توالي المؤكِّداتِ في الجملة:

الوعدُ بالنَّسف المؤكَّدِ أبلغُ في بيان قوَّةِ الوعد

أدخل النَّظمُ الجليلُ لامَ القسم في مُفتتح الجملةِ للدَّلالة على القسَم المحذوفِ في قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ تأكيدًا لمضمون الخطابِ، وقد جمع مع القسَم منَ المؤكِّدات نونَ التَّوكيد الثَّقيلةَ، والمفعولَ المطلقَ تأكيدًا للوعد وتحقيقًا لصدقِ الإيفاء به[2]، كما أنَّ في تأكيده بالمفعول المطلقِ إشارةً إلى أنَّه تعالى لا يتردَّدُ في ذلك، إظهارًا لانتفاء موجباتِ الخشيةِ منه؛ إذ إنَّه ليس بإلهٍ[3].

دلالةُ التَّعبير بالظَّرفيَّةِ في شبه الجملة:

نسفُ العجلِ في البحر استئصالٌ للباطلِ

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بشبه الجملة الدّالَّة على الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ للدَّلالة على تذريةِ الصَّنم وتفتيتِه إلى أجزاء صغيرةٍ تتلاشى في البحر، فلا يبقى منها جزءٌ يمكنُ أن يذكِّرهم بالعجل، فجعل البحرَ ظرفًا للتَّذرية والنَّسفِ إشارةً إلى استئصال العجلِ استئصالًا لا يبقى معه أثرٌ، يمكنُ أن يُتَّخذ للافتتان في قابل الأيامِ، وهذا هو الأسلمُ في إزالة الباطل.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 300.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 337.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 300.

دلالةُ تعريفِ اليمِّ بالألف واللّام:

البحرُ أُغرقَ فيه فرعونُ ونُسف فيه العجلُ

عرَّف النَّظمُ الجليلُ لفظَ اليمِّ بالألف واللّام الدّالَّتين على العهد في قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾؛ للدَّلالة على البحر ذاتِه الذي أغرق اللّه تعالى فيه آلَ فرعون[1]، فهو اليمُّ الذي عُهد ذكرُه في السّورة، ففي تعريفه بـ(أل) استحضارٌ لما يحقّقُ عظيمَ التّرهيب في نفس السّامريّ وفي نفوس أمثالِه.

دلالة التعبير بـ﴿ٱلۡيَمِّ﴾ في السياق:

ارتباطُ اليمِّ بمواضعِ العقوبة والعذابِ يناسبُ لفظَ النّسفِ

لمّا كان اليمُّ يُطلقُ على ما كانَ ماؤُهُ مِلْحًا زُعاقًا، وعلى البحرِ العميقِ المتلاطمِ الأمواجِ؛ ناسبَ اختيارُه مكانًا للنّسفِ؛ إذ إنَّ التّلاطمَ يُسهمُ في هذا النّسف، فضلًا عمّا يُثيرُه من مشهدِ رعبٍ للمرميِّ فيه، ولذلك ارتبط اليمُّ بمواضع الخوفِ والعذابِ والإغراقِ، في حين يُطلقُ البحرُ في الغالب على مواضعِ استجلابِ النِّعم والخيراتِ.

الموقعُ النَّحويُّ لقوله: ﴿نَسۡفٗا﴾:

تأكيدُ النَّسفِ ليقطعَ الظَّنَّ بأنَّه مجرَّدُ تكسيرٍ

أكَّد النَّظمُ الجليلُ فعلَ النَّسف بالمفعول المطلقِ في قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾، فجاء بالمصدر ﴿نَسۡفٗا﴾؛ للدَّلالة على تأكيد معنَى النَّسفِ وتقويةِ الإخبار به، ولا يدلُّ على تأكيد مضمونِ الجملة كاملةً، بل يؤكِّدُ المعنى في الفعل (نسف) فقط، فهو يشيرُ إلى أنَّ النَّسف مرادٌ على وجه الحقيقة، فلا يظنُّ السّامعُ أنَّه قد يرادُ مطلقُ التَّقطيع والتَّكسير، وذلك مبالغةٌ في إذلاله وتهوين شأنه، وإيغالٌ في استئصالِه بحيث لا يبقَى منه شيءٌ صغيرٌ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المساس واللّمس:

اللَّمسُ أصلُه من (لمس) يَدُلُّ على تَطَلُّبِ شَيْءٍ ومَسيسِه أيْضًا،

(1) الخطيب، السراج المنير: 2/ 483.

المسُّ أخفُّ منَ اللَّمس، والنَّهيُ عنه أبلغُ في شدَّة التَّحريمِ

تَقولُ: تَلَمَّسْتُ الشَّيْءَ؛ إذا تَطَلَّبْتَهُ بيَدِكَ، واللَّمسُ أصْلُهُ باليَدِ ليُعْرَفَ مَسُّ الشَّيْءِ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى صارَ كُلُّ طالِبٍ مُلْتَمِسًا[1]، وهو: إدراكٌ بظاهر البَشرة، كالمسِّ، ويُعبَّر به عن الطَّلب، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾ [الجن: 8][2]، أمّا المسُّ؛ فيَدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ[3]، ويُستعملُ بمعنى إصابةِ الشَّيءِ وحُلولِه، فمِنهُ مَسُّ الشَّيْطانِ، أي: حُلولُ ضُرِّ الجِنَّةِ بالعَقْلِ، ومَسُّ سَقَرٍ: ما يُصيبُ مِنْ نارِها، ومَسَّهُ الفَقْرُ والضُّرُّ؛ إذا حَلَّ به[4]، فاللَّمس أبلغُ وأقوى في التَّعبير عن تلاقي البَشرتين من المسِّ؛ لأنَّه يدلُّ على طلب الشَّيء وتلمُّسه باليد ومسِّه، ولذلك استعملَ المسَّ لما كان خفيفًا، كقوله جلَّ شأنه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: 83][5]، فآثر في الآية الكريمة التَّعبيرَ بالمسِّ للمبالغة في حرمة المسِّ عنه بحيث إنَّه يحرمُ عليه حتّى تلاقي البَشرةِ الخفيفِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لمس).
(2) الرّاغب، المفردات: (لمس).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مس).
(4) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 126.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»